

القيم التربوية والجمالية في تجربة محمد مفلح الإبداعية
*Educational and aesthetic values in Mohammed Meflah's
 creative experience*

زيدي الخداوية *

أستاذة محاضرة -أ- كلية الأدب العربي والفنون.

جامعة مستغانم (الجزائر)

z.elkhadaouia@gmail.com

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-05-01

تاريخ الاستلام: 2026-01-11

ملخص:

يرى الروائي والقاص محمد مفلح أن الكتابة للطفل من أصعب الأجناس الأدبية، وتتطلب دراية بفنيتها ومعرفة نفسية الأطفال وامتلاك اللغة المبسطة لمختلف المراحل العمرية. ويضيف "من حسن حظي أنني مارست التعليم وكانت لي صلة وطيدة بالأطفال والمراهقين علاوة على دراستي لعلم النفس التربوي مما ساعدني على فهم عالم الطفل السهل الممتنع". من يكتب للطفل؟ وماذا نكتب للطفل؟ وكيف نكتب للطفل؟ ولماذا نكتب للطفل؟ وكيف نحترم فطرته السوية؟ وكيف نحلق بمخيلته في عالم تتعالق فيه اللغة الأسرة بتأثير فني تحضر فيه الصورة والألوان ليحقق في الأخير قطفاً معرفية وتربوية وجمالية.

الكلمات المفتاحية: محمد مفلح، القيم التربوية، القيم الجمالية، الطفل، الخيال.

Abstract :

Education and aesthetic value in the experience of Muhamed Mufleh Creative. Muhamed Mufleh who is a novelist and a storyteller sees that writing for children is one of the most difficult literary races, and requires knowledge and knowledge of children's psychology as well as the possess of simplified language. Adds Mufleh and fortunately I have practiced education and I had a strong connection with children, in addition to my study of educational psychology which helped me to understand the world of the child easy refrain. Actually he is a child and the easy refrained, he is the big little mind. Who writes for the child? and what do you write to him? and how to write to him? and how to respect the common sense of this child? how do we fly in his Imagination in a world in which the attractive language relates to the artistic furnishing, that the letter can achieved knowledge, educational and aesthetics.

Keywords: Mohammed Miflah, Educational Values, Aesthetic Values, The Child, Imagination.

*المؤلف المرسل: زيدي الخداوية

القيم كما يشبهها جل الباحثين هي من قبيل المنة للجسم الفردي والمجتمعي؛ لأنها تشكل الألغوريتم أو البوصلة الموجهة لمختلف السلوكات والتصرفات الفردية والمجتمعية؛ إذ أصبح طافحاً على السطح في هذا العصر، أن هنالك حرباً ضارية لإضعاف هذه المنة الطبيعية، بغرض جعل الإنسان تائهاً وسهل الانقياد وفق التخطيطات المغرضة؛ هذا الذي تنبه إليه الباحثون عندما لاحظوا إشكالية تفكك القيم داخل شعوبهم، التي شكلت حالة من الاختلال واللاتوازن، مما قاد بهم إلى إيلاء هذه الظاهرة الكثير من العناية -تشخيصاً وتحليلاً ودراسة¹- خاصة في زمن الإرهاب المعلوماتي والعولماتي الذي أبان عن مضممراته الساعية إلى ضرب الإنسان في جوهره الإنساني وسلخه عن كل مقوماته مستهدفاً التدمير المنهج لكل ما هو قيمى وجميل. وعندما نتحدث عن القيم، عن أي قيم، فإننا نلامس بالضرورة مجال التربية والتعليم، لأن هذا المجال بالذات هو الذي ينتج لنا مواطن أو أناساً مدركين للقيم المعنية، متشبعين بها عاملين على الحفاظ عليها، شريطة أن يستوعبها هؤلاء فهماً وتمثلاً على الصعيد النظري والفكري و أن يلتزموا باحترامها وتكريسها سلوكاً وممارسة على صعيد الواقع المعاش.

بتحصيل الحاصل، فإن التربية والتعليم، إذ لم تبين على قيم معينة متعارف عليها، أو متفق على الخضوع لها، لا يمكن أن يكتب لها النجاح، مهما تسلحت بالاستراتيجيات والخطط والمقاربات، لأنها بكل بساطة ستظل تربية وتعليماً وتكويناً فاقدة للروح مفتقدة إلى البوصلة أو إلى وسيلة التسديد والهداية.²

أي المتعلم "l'apprenti-sage"، نجدها مكونة من "l'apprentissage" "وعندما نتأمل كلمة "التعلم l'apprends- الحكيم. وهذا يعني أن الطفل كائن قادر على امتلاك معرفة الأشياء، كما أنها مكونة من أي تعلم الربط بين الأشياء، وهذا يعني قدرة الطفل على إقامة علاقات بين مختلف عناصر المعرفة وإذا كانت المدرسة هي الفضاء الأول المؤهل لإكساب المعرفة³، فإنها لا يمكن إلا أن تكون الفضاء الأول للتذوق، وإذا تم تذوق طعم المعرفة من قبل المتعلم سهل عليه تمثل وتذوق القيم التربوية والجمالية التي يتلقاها بيداغوجياً أو ليست البيداغوجيا في وجهها الأصيل سوى شجرة لإنبات القيم؟

إن ما هو بارز للمهتم بالعملية التعليمية، في أغلب الأحيان هو توضيحيتها بالمتخيل لصالح العقلاني الضيق... فالانفتاح على ثقافة تشمل الفنون والآداب مهم في تكوين الإنسان المعاصر. إن الأفكار...

العظيمة التي تدور في خلد الأدباء والفنانين المبدعين نوافذ تطل على الحاضر أو على المستقبل، وما كان لها أن تحدث فينا أي تأثير لو كانت مجرد أحلام غريبة عن الواقع كل الغريبة، ليست وهما تلك العدالة التي تغنى بها سوفوكليس في أجمل قصائده، تلك العدالة التي تمتد امتداد قبة السموات. إننا مازلنا نسعى إلى هذه العدالة ونحاول أن نجعلها تشمل الكرة الأرضية⁴. فمن المناسب أن تنهض البيداغوجيا المعاصرة على الخيال، وذلك ليس لكونه

فقط ملكة لغزو حقول الحلم والإبداع، بل باعتباره ملكة تقود المنطق والاستدلال خارج حدودها، بيني المتخيل الإنسان ويضمن له توازنه، ويؤهله لتجاوز المغالاة في النزعة العلمية وتجنب اختزال العالم عند إدراك ظواهر لا ظل لها.

ويرى أهل العلم أن الخيال هو المحرك الأساسي للاستدلال العلمي وكذا للملاحظة الدقيقة والمتأنية للظواهر، وخلاصة القول، إن المدرس الذي لا يمتلك خيلاً يقطعاً باستمرار هو غير قادر -على المدى البعيد- على الإحساس بأن مفاهيم مثل الممكن والمحتمل وغير المحتمل، تلعب دوراً مهماً وتشكل أساس أية إستراتيجية بيداغوجية طموحة وجذابة للجميع.

لا يمكن أن يحدث أي تغيير دون أن يشترك المدرس وتلاميذه في مغامرة الخيال⁵؛ تقتضي مهنة التدريس أن يكون المدرس كائناً مبدعاً وقادراً على الخلق، وذلك لكي لا يبقى طيلة حياته مكرراً لمعرفته الخاصة وموزعاً لها، وهذا يقتضي امتلاكه لملكة الخيال التي بدونها لا تكون الثقافة الشخصية للإنسان سوى ثقافة ميتة، إنها حسب بودلير ملكة الملكات وهي ضرورية للمدرس، ليس الخيال تشكيلاً لصور حول الواقع، إنه تشكيل " (Baudelaire) صور تتجاوز الواقع، كما أنه ملكة يمتلكها الإنسان الأعلى، ويكون الإنسان إنساناً بقدر ما يكون إنساناً أعلى، فالخيال يدفع الإنسان إلى مجاوزة الإنسان لذاته، إنه يخترع الحياة الجديدة والفكر الجديد، ويفتح أعيننا لها نظرات ورؤى جديدة⁶.

محمد مفلح يبدع من سر التاريخ وسحر الجغرافيا: يعلن محمد مفلح منذ البداية أن كتابته تحمل مشروع الإنسان، وأن الإنسان هو الهاجس المركزي الذي يظهر في مشروعه الإبداعي كله، بتيمات متنوعة كنوتات القطعة الموسيقية فالمشروع الأدبي الذي نعيشه، توجد فيه كل المواضيع التي يواجهها الإنسان منذ لحظة ميلاده إلى غاية مغادرته الحياة. والكتابة إن لم تحمل مشروعاً وتؤمن به فلن يكتب لها النجاح، لقد تحركت الكتابة عند محمد مفلح للإنسان ومن أجل الإنسان، فكان الهدف والمستهدف في مشروع إبداعي رائد. محمد مفلح تغذى وتشرب القيم الإنسانية في طفولته فنشرها إبداعاً أصيلاً في تجربته.

يقول محمد مفلح: "رأيت نور الدنيا يوم 28 ديسمبر 1953 في عائلة فقيرة من أصول ريفية فلاحية كانت قبل الاحتلال الفرنسي تملك بعض الأراضي الزراعية بتلول 'منداس' وسهل مينة وقد تدهورت وضعيتها ككل عائلات ملاك الأراضي الزراعية بقبيلة 'فليتة' العتيبة التي خاضت حروباً شرسة ضد قوات الاحتلال الفرنسي منذ بداية مقاومة الأمير عبد القادر إلى غاية انتفاضتها على قانون التجنيد الإجباري⁷."

واسم "محمد" الذي اختاره لي والدي، تيمناً باسم جده محمد المفلحي اليحياوي الذي شارك سنة 1864 في ثورة شعبية عارمة قادها المقاوم الصوفي الشهيد سيدي لزرق بلحاج، أما لقب مفلح فقد أطلق على جدي لزرق في أثناء عملية التلقيب لسنة 1890، وهذا الاسم هو لجدا الكبير سيدي مفلح نجل عبد التقي بن عبد القوي ابن الولي الصالح والقاضي الشهير سيدي علي بن يحيى وعائلات "المفلاحية" تنتمي إلى عرش "أولاد سيدي يحيى" الذي تحول في فترة تنفيذ القانون (المشيخي) إلى (دوار - بلدية) باسم دار سيدي بن عبد الله وكان تابعا للبلدية المختلطة (زمورة) غليزان.

وحسب شجرات النسب فأبناء هذا العرش ينحدرون من سيدي علي بن يحيى تلميذ العالم الشهير سيدي عبد الرحمان الثعالبي، ويذكر النسابون أن استقرارنا بمنطقة غليزان وضواحيها كان في القرن السابع الهجري، وعرش أولاد سيدي يحيى هو أحد أعراس قبيلة "فليتة" المنحدرة من "سويد" الهلالية التي قامت بأدوار كبيرة في تاريخ المغرب الأوسط، وقد ذكرها العلامة عبد الرحمان بن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر"⁸. هذا هو نسب الباحث والروائي والقاص الجزائري محمد مفلح.

وغليزان باعتبارها مكاناً خاصاً يحتفي به محمد مفلح احتفاء النشوة الوجودية، "غليزان التي أرضعتني محبتها طفلاً، وعلمتني أبجديات تاريخها مراهقاً، وأهمتني نصوصي الأدبية وأنا شاب أحلم بالمغامرة والإبداع، هي مدينة عريقة ذكرها يحيى بن خلدون في كتابه 'بغية الرواد' متفتحة على الحياة المعاصرة، محافظة في الوقت نفسه على تاريخها الثقافي وتراثها الروحي"⁹.

ويضيف: "ترتبط غليزان في ذاكرتي بأحيائها الشعبية (القراية والرق والطوب)، الممتد في تاريخ المنطقة الحضاري، وهي على وجه الخصوص ساحة لـ 'مرشي نوار' مقصد زوار المدينة وأبنائها للاستماع إلى أغاني الطرب البدوي، ومدائح الشيوخ وألعاب السحرة، أما وسط المدينة (البلاد) فقد تعرفت على معاملة منذ دخلت المتوسطة، وتعلقت بمكتباته الثلاث، وأحببت ساحاته الجميلة وحديقته الخلابة وقاعاته للسينما: كازينو ودنيا زاد."¹⁰

يرى محمد مفلح أن الأديب الذي لا يسيطر على تاريخ وجغرافيا المحيط الذي يعيش فيه، لا يستطيع أن يقدم عملاً ذا خصوصية في عمله الفني، وأقصد من التاريخ الذي يتنسم الأديب إكسبره منذ ولادته، أما الجغرافيا فهي كل شيء مادي اختزنته ذاكرة الأديب عبر كل مراحل حياته، ومن هنا يأتي الارتباط بالمكان وخصوصيته، وبالزمن وذكرياته¹¹. "المحلية هي روح العمل الفني.. فالقارئ كما اعتقد يريد من المبدع أن يكتب عن الإنسان الحي الذي يتحرك في زمن محدد وضمن فضاء معين ولو كان هذا الفضاء متخيلاً كما فعل فولكنر وماركيز."

كل الروائيين العالميين كتبوا عن محيطهم الصغير، فأبدعوا أعمالاً تعبر عن هموم الإنسان في كل مكان وزمان، فمشاعر الخير والشر، وعواطف الحب والكراهية، والقيم الإنسانية هي نفسها في كل أمكنة العالم، وفي كل أزمنة البشر ولكن الحكاية التي يرويها الأديب الجزائري بأسلوبه ولغته المتشعبة بثقافته تكون ذات نكهة مختلفة عن نكهة الحكاية الصينية أو الألمانية¹². بهذه الخصوصية تفتح أفكار محمد مفلح على العالمية وعلى الإنسانية وهل الإنسانية إلا الإنسان وقيم الإنسان؟!.

محمد مفلح: الطفولة الجريحة وبداياته تشكل المخيال

يذكر محمد مفلح أن وفاة والده -رحمه الله- وهو في الحادية عشر من عمره قد تركت في نفسه جراحاً لا تندمل: "إنه الحدث المؤلم الذي ظلت وشومه محفورة في ذاكرتي... منذ تلك اللحظة الكثيرة امتلأ قلبي بمشاعر متناقضة مضطربة.. إن مصيبة الموت المفاجئة كانت سبباً قوياً في تفجير ينايغ الغربة في نفسي وأسهمت في تشكيل خيال طفولتي في تلك الأيام الكالحة، لقد أدخلتني هذه الغربة الرهيبة عالم الخيال وهواجسه.¹³

في سن مبكرة يأخذ محمد مفلح الطفل قراراً أن لا خروج من الكآبة إلا بالكتاب، لقد آمن الطفل الذي لا يمتلك في بيته المتواضع مكتبة، أن يهتم بالكتاب والقراءة دون توجيه من أحد، ومن مدرسته الابتدائية تبدأ رحلته مع الكتاب، ثم يعثر بالمصادفة على روايات تلهب خياله.¹⁴

وإلى جانب الكتاب كانت المدة الطبية (مّا خيرة) "جدتي أما خيرة" التي كانت تروي لنا -أنا وأخوتي- الحكايات الشيقة ومنها (لونجة بنت السلطان)، و(حديدون) و(بقرة اليتامى) و(ودعة وأخواتها سبعة) وكانت تقص علينا بطولات قادة المقاومة الوطنية التي شاركت فيها منطقتي في العهد العثماني ثم في العهد الكولونيالي، ومنهم الأمير عبد القادر، وسيدي بن عبد الله، وسيدي بصافي، وسيدي لزرق بلحاج، والحاج الطيب المفلحي، كما غدت روعي ببطولات مجاهدي الثورة التحريرية.¹⁵

كان سحر هذه الحكايات يثير خيال محمد مفلح الطفل بل شكل نبع الحكيم الجميل في طفولته.

وفي هذه الأجواء السحرية ازداد انجذابه إلى الحكايات العجيبة، ومنها حكايات (جان دي لافونتان) وفي المتوسطة التي كان يدرس بها اشترى بعض الكتب المصورة (ميكى، وزمبلا، وتارتين، وشرع في تأليف ذهني لقصص يرويها لبعض أبناء عائلته الكبيرة، ولا غرابة فقد تضافرت كل العوامل لإذكاء جذوة الإبداع والكتابة. ولعل أولها شغف القراءة، هذا التلاحم الجميل بين التاريخي والواقعي، والشعبي والعجائبي قاد محمد مفلح إلى كتابة قصصه الأولى، وهو طالب في المتوسطة. لا يمكن أن نغفل دفاثر محمد مفلح دون أن نقف عند بعض الأماكن التي

كانت شاهدة على طفل يحمل بين أنفاسه مشروع مبدع كبير. ويمارس طقوس الكتابة كما يفعل الكبار وهو لم يتجاوز فترة المراهقة "كنت أكتب قصصي الأولى في الحديقة القريبة من متوسطة محمد خميسي، ولما سكنت في عيسات إيدير (الرمان) كنت ألجأ إلى حقول البرتقال لكتابة مقالاتي وتمثيلياتي الإذاعية وقصصي القصيرة وبعض فصول من رواياتي لأن مسكني الضيق لم يكن ملائماً للقراءة الهادئة والتأمل في هذه القراءات، والكتابة تتطلب عزلة وهدوءاً وتركيزاً. وكنت أستغل أوقات فراغي وأيام عطلاتي الصيفية لكتابة أعمالي بقلم حجر في كراساتي مدرسية¹⁶

ويضيف محمد مفلح "عادة ما كنت ألجأ إلى قراءة الروايات أو كتب السير والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس، قبل الشروع في الكتابة، لأنها أي القراءة كانت لي بمثابة البطارية المحرّضة على الكتابة. وهذه القراءات الممتعة كانت تبعدني عن الحاضر وهمومه، وتمنحني الأمان النفسي بعدما تدخلني عالم الحلم¹⁷

لقاء محمد مفلح بالطاهر وطار - العلامة الفارقة - وبداية المسار يكتب محمد مفلح عن المرحوم الطاهر وطار بمشاعر محاطة بالحب وبوفاء ونادر، يعترف له بالفضل والجميل ويسكب له مشاعر الصدق والامتنان...

لقد كان للطاهر وطار شيخ الأدياء الفضل على المبدعين الجزائريين في سنوات السبعينيات والثمانينيات لقد كان تأثيره عليهم لا يقل تأثيراً "عن معطف" غوغول في أدباء روسيا، هكذا يصف الطاهر وطار أو عمي الطاهر كما يقول محمد مفلح: "دخل اسم الطاهر وطار عالمي الصغير منذ قرأت قصصه القصيرة وأنا طالب بمتوسطة محمد خميسي (غليزان) وازداد هذا الاسم إشراقاً في خيالي بعد صدور رائعته "اللاز" الرواية المفصلية في تاريخ الأدب الجزائري، التي حرصتني على تجربة كتابة الرواية.

فكانت "الانفجار" وهي محاولتي الأولى في هذا الجنس الأدبي¹⁸، يمكن أن يكون هذا اللقاء الأول، أما اللقاء الثاني فكان عبر المراسلات الأدبية وفي هذا الشأن يقول محمد مفلح: "أما علاقتي بالكاتب الكبير الطاهر وطار فكانت عن طريق المراسلة منذ كان أستاذنا المبدع يشرف على صفحات (دروب القصة) بجريدة الشعب إذ كنت أبعث إليه بقصصي البسيطة، ورغم مشاغله الكثيرة كان يهتم بقراءتها ويوجه إلي ملاحظاته القيمة، ومنذ سنة 1973 شرعت بفضل تشجيعه في نشر مقالاتي الأدبية - بملحق الشعب الثقافي - كنت وقتذاك في سن العشرين أدرس بمدرسة سعيد زموشي بحي الطوب (غليزان) وكان الطاهر وطار المشرف على هذا المنبر الثقافي، يوافق على نشر مقالاتي المتواضعة، ويتابع خطواتي الأولى في الكتابة، وقد بعث إلي ذات يوم رسالة أولى لازالت أحتفظ بها إلى حد الآن.¹⁹

يعتبر محمد مفلّاح رسالة الطاهر وطار بمثابة الرسالة السحرية "كانت رسالة سحرية أشعلت نيران المغامرة والطموح في قلبي، وبثت في نفسي الثقة والحماسة على السير في درب الكتابة مهما كانت التضحيات، لقد حثني فيها على مواصلة العمل الجاد. كما قدم لي نصائح ذكية عملت بها لتجاوز الأخطاء التي تحويها كتاباتي في تلك الفترة²⁰، ويضيف محمد مفلّاح "وقرر أدينا الكبير أن يمنحني تشجيعا ماديا لشراء الكتب كما جاء في رسالته الرائعة. وكتب فيها كلمات لازالت تطربني وتزيدني إعجابا بهذا الرجل العظيم الذي قال فيها "هذه مدة وأنا أتابع عن كثب تطورك وأعمل ما في وسعي على تشجيعك لما لمستك فيك من مثابة واجتهاد، ولقد سررت كثيرا لما تحرزه من تقدم في ميدان المطالعة وتوسيع معلوماتك". "هكذا فعلا ينشأ الكاتب..."

وأضاف بمحبة كبيرة "المهم استمر في العمل²⁰.

الرسالة الثانية: كانت الرسالة الثانية يوم 24/03/1984 وفي هذه الرسالة عبر الطاهر وطار عن إعجابه برواية محمد مفلّاح (الموسومة بـ الانهيار) بعد اطلاعه عليها بصفته عضوا في لجنة القراءة بالمؤسسة الوطنية للكتاب وقال له فيها "إن مفلّاح الذي عرفته يتعثر في اللغة والتعبير تغير فعلا متطورا نحو الإيجابي، وكم أنا مسرور بذلك، روايتك أعجبتني من حيث البناء الذي امتلكته كما ينبغي ومن حيث وحدة الموضوع وتسلسل الحدث (وإن كان ذلك إلى حد كبير كلاسيكيا) إنك روائي بحق تمتلك الأداة."

بعد الرسالة السحرية الأولى يتلقى محمد مفلّاح عبارة "إنك روائي بحق" العبارة السحرية هزتني بقوة، ومنحتني طاقة لا مثال لها على مواجهة معاناة الكتابة، هكذا كان الطاهر وطار يشجع شابا لا نفوذ له ولا علاقات له في الوسط الثقافي أو في مؤسسة النشر ووسائل الإعلام الوطنية. "لقد شعرت

وقتذاك بالثقة في قدراتي وبسعادة لا يمكن وصف لحظاتها الجميلة التي جعلتني أثق في نفسي، وأصر على المغامرة في عالم الكتابة الإبداعية²².

بعدما انتخب محمد مفلّاح نائبا برلمانيا عن ولاية غليزان، أتاح له وجوده في العاصمة التردد على مقر الجاحظية، ويذكر محمد مفلّاح أنه كان يكبر في الطاهر وطار مواقفه غير الحيادية تجاه القضايا المصرية والخاصة قضية اللغة العربية التي كان يراود لها الوأد وهي في دارها، ويذكر محمد مفلّاح في كتاباته "وأدينا المقدم لم يكن معاديا للغة الفرنسية - كما كان يشيع عليه بعض خصومه المغرضين، ولكنه كان ضد اللوبي الفرونكوفيلي ونشاطه العدواني الهدام، ويرى أنه يعمل على هيمنة اللغة الفرنسية في دولة ذات حضارة أمازيغية عربية إسلامية²³.

كان محمد مفلح ينتمي حزبيا إلى جبهة التحرير وكان الطاهر وطار ينتمي إلى حزب العمال، ولكن المشترك الإنساني والقيم الانسانية كانت أكبر من أن تقف عند حدود الحزبية الضيقة والجهوية المقيتة.

محمد مفلح يكتب للطفل

يقول محمد مفلح في هذا الصدد "إن الكتابات الموجهة إلى الطفل متعددة ومتنوعة حسب مراحل الطفولة التي تبدأ من سن الثالثة إلى غاية مرحلة الفتوة أي من 12 إلى 15 سنة، وكتابة أدب الطفل تفرض على ممارسها أن يلم بعلم النفس التربوي، وعلم الاجتماع وبخاصة علم الاجتماع الثقافي، لأن الثقافة التي ينمو فيها الطفل لها تأثير قوي على مخيلته ونموه النفسي"²⁴، وهناك توافق في هذا الصدد بين الاختصاصيين على تقسيم الطفولة إلى ثلاث مراحل من حيث الاهتمامات القرائية.

1-مرحلة الطفولة الأولى من 3 إلى 6 سنوات ولقد أطلق عليها اسم مرحلة الخيال الإيهامي نظرا لغلبة الخيال عليها، وهنا يرغب الطفل في الأقصوصة المصورة تجري على ألسنة الحيوان والنبات والجماد بعد أنسنتها (إصباغ الطابع الإنساني عليها)، مع الحاجة إلى بروز اللون والحركة.

2-مرحلة الخيال المنطلق من 5-6 إلى 8 سنوات يصبح الخيال عند الطفل إبداعا تركيبيا موجها إلى غاية عملية، يهوى الطفل في هذه المرحلة البحث عن الخوارق، واللامألوف، ويظهر الولع الشديد بالقصص الخرافية والحكايات الشعبية التي تتضمن الكثير من التحولات والمغامرات لقصص العفاريت، والجان والسحرة، وبلاد العجائب، أو ما يعادلها من كائنات تكنولوجية خارقة (الخرافة العلمية، كذلك يعجب الطفل في هذه المرحلة بالمسلسلات المصورة وبالقصص البوليسية وقصص الإثارة.

3- مرحلة البطولة والمغامرة 8-9 إلى 12 سنة:

هنا يبرز الميل إلى قراءة سير الأبطال والفتوحات والقتال والسيطرة والمهارات، والمغامرات والرحلات كذلك تبرز في هذه المرحلة الاهتمامات القرائية المركزة حول البحث عن الهوية الوطنية، والانتماء إلى التاريخ، والاهتمام بالعابرة والرواد.²⁵

وتبعاً إلى هذا التقسيم نجد أن الطفل في مختلف مراحل العمرية قد حظي باهتمام الكاتب والقاص محمد مفلح والذي بدأها في الثمانينات من القرن العشرين وقد أنجز عدة قصص لم ينشر منها إلا ثلاث قصص هي

1- معطف القط مينوش، سنة 1990 -2. مغامرات النحلة كحيلة، سنة 1990 -3. وصية الشيخ مسعود، وهي قصة للصبيان والفتيات صدرت سنة 1992 عن الشركة الوطنية للطباعة (لنياب) عبر فيها الكاتب عن رغبته في توجيه الجيل الصاعد للعمل الجاد المنتج وبخاصة العمل الزراعي، وينتقد سلوك الشخص الذي يبدد وقته دون جدوى. صدرت سنة 2009 بطبعة ثانية عن دار الساحل.

وخلال سنة 2013 نشر القاص محمد مفلح

1- اللؤلؤة كتبها سنة 2008، وهي قصة للفتيان يسرد فيها تاريخ تلمسان ومعالمها، وهي مقسمة إلى ستة فصول: صديق المكتبة، المواجهة العلمية، فشل الحاسوب، في المكتبة البلدية، الاحتفال بالجائزة، والرحلة التاريخية -2. قصص الحيوانات: تضم خمس قصص وهي: الفأر الفرفور، اللص المقنع، مغامرة النحلة كحيلة، تضحية الديك الوسيم.²⁶ وهناك قصص أخرى تنتظر النشر ومنها

3- اللاعب الماهر والسر الخفي أنجزت سنة 2010 وهي موجهة للفتيان -4. صالح باي بايات قسنطينة: أنماها 2013 وهي للفتيان تطرق فيها إلى مأساة صالح باي قسنطينة، وفي مكتبته قصص أخرى تحتاج إلى بعض التنقيح.

أما القصة التي ستكون محل الدراسة: فهي قصة الأرنب المعتوه الصادر سنة 2015 وتشمل القصص الآتية: الأرنب المعتوه، الحمار المغرور، الشحرور الذي أراد حريته، نهاية الديك الثرثار، نصيحة سلحفاة.²⁷

ويذكر محمد مفلح أن الكتابة للطفل تتطلب شروطاً منها

- أن يكون الكاتب موهوباً.
- أن يكون قادراً على ولوج عالم الطفل حسب المراحل العمرية السالفة الذكر.
- أن يتمكن من تقنيات هذا الجنس الأدبي.
- أن تكون لغته ملائمة أي بسيطة وواضحة وصادقة، اللغة السليمة تسهم في إثراء القاموس اللغوي للطفل، و هذا الأخير يدخل في الدراسات الانقراية، وهي تختص تحديداً بدراسة ملائمة النص لمرحلة النمو اللغوي عند الطفل من ناحية، ولمقدار الزاد اللغوي من ناحية ولمقدار الزاد اللغوي الإضافي الذي يجب أن يتضمنه النص ونوعيته بغية إغناء رصيد الطفل اللغوي.²⁸

تحليل القصة.

القيم التربوية من خلال قصة الأرنب المعتوه:

القصة الطفلية فن أدبي راق، تمتلك مقومات فنية خاصة، يقوم على مجموعة من الحوادث المترابطة، مستوحاة من الواقع أو الخيال، أو كلاهما تدور في بيئة زمانية ومكانية وتمثل قيماً إنسانية شتى، تفضي لنهاية يتوجب أن تكون خيرة، وقصة الأطفال وسيلة تربوية تعليمية محبة تهدف إلى غرس القيم.²⁹

في مجموعته القصصية (الأرنب المعتوه) يثير محمد مفلح جملة من المواضيع النابعة من واقع الطفل وبيئته مستهدفاً جملة من القيم والفضائل المرغوب فيها وصفات أخرى غير مرغوب فيها، وجاءت هذه القصص على ألسنة الحيوانات (كما في الأرنب المعتوه، الحمار المغرور، الديك الثرثار) وأخرى تقاسم فيها الحوار أشخاص حقيقيون مع الحيوانات كما في قصة (نصيحة سلحفاة) حيث يجسد أبطالها كل من عيسى التلميذ، والخروف، والسلحفاة، وقصة (الشحور الذي طالب بحريته) ويدور فيها الحوار بين مصطفى (التلميذ، والشحور) وعلى العموم فقد جاءت هذه القصص لتستهدف قيماً من أجل غرسها، أو تصحيحها وتهذيبها، أو ضرورة الإقلاع عنها، كالخقد والخبث والمكر والدهاء والطمع والانقياد للغير دون تبصر، وعدم استعمال العقل.. إلخ وتكاد تكون هذه الصفات غير المحببة ملازمة لجميع القصص.

الأرنب المعتوه نموذجاً:

قصة تجري أحداثها في السهل الخصيب المحاذي لوادي مينة، قصة بطلها الأرنب المعتوه الذي يرفض التعاون مع أبناء جنسه، ويرغب في التحول إلى حيوان آخر (تمنيت لو خلقتني الله ذئباً شريراً) ويبرر تصرفه ذلك حتى لا يكون مطمعاً للذئاب، أو القطط السمينة، ولتحقيق فكرته يشرع في البحث عبر الأنترنت عن عنوان طبيب جراح متخصص في العمليات التجميلية بعدما شاهد ذلك في إحدى القنوات الفضائية، يسرق مال والده، ويتجه إلى العاصمة، تتم العملية بنجاح كبير وينضم إلى جنس القطط، ولكن باندماجه إلى القطط وجد نفسه في حرج كبير خاصة عند تناول اللحم، فكان يلجأ إلى حيل تبرر رفضه للأكل وعدم صيده للفئران، وفي الوقت ذاته يذهب ليقضم تفاحة بسرعة حتى لا ينتبه إليه القطط، ولكن دوام الحال من المحال، فقد قررت القطط أن تذهب إلى بركة للعلوم وعجز القط المزيف على إيجاد مبرر لعدم مرافقتها.

وهنا انكشف أمره، وعاد إلى خلقته الأولى واكتشفت القطط أمره، ففر هارباً، وعاد إلى أمه الأرنب البيضاء التي احتضنته بقوة وقالت له "ألا تعلم يا ولدي المشاغب أن الزيف لا يصمد أمام الحقيقة الساطعة؟" أنت أرنب أصيل، ويشرفك الانتماء إلى جنسك."

قصة تحمل في ثناياها عديد القيم التربوية، التي تهدف إلى توجيه الطفل توجيهاً سليماً، يعرف فيه معنى التمسك بالهوية وبالأصل والاعتزاز بالانتماء والرضى بالصورة الخلقية، وتحمل إلى جانب ذلك قيماً أخرى نستطيع استخراجها، ومن خلال الأحداث المتتالية التي تمت بحبك في راعي فيه الكاتب المستوى اللغوي للطفل والمعرفي والوجداني وهي عناصر أذكاهها الكاتب من خلال هذه القصة بكل عناصرها البنائية والفنية، ومن جملة القيم التي حاولت القصة توجيهها إلى متلقيها الطفل وإن لم يحدد الكاتب الفئة العمرية المستهدفة ولكن يمكن القول إنها من 6 إلى 10 سنوات.

الأرنب المعتوه بطل القصة ويسميه الكاتب (شوف) فشوف بالعامية تعني انظر وهي إشارة لطيفة لإيقاظ الفعل التحريضي للقراءة والمتابعة للبطل (أي انظر واعتبر).

الأرنب (شوف) كان يقضي أوقاته أمام الأنترنت، ومن ثمة فهنا تنبيه إلى خطورة هذه الوسائل عند عدم حسن استعمالها، خاصة وأن الأرنب (المعتوه)، أي ناقص عقل، ومن هنا تصرفاته يغيب فيها حسن التدبير.

1- عدم امتثاله لنصائح أمه (الأرنب البيضاء الطيبة).

2- سرقة المال دون إذن الوالد .

3- المخاطرة بالخروج إلى أماكن بعيدة دون إذن الأولياء.

4- الانخراط في جماعة من غير جنسه بأسلوب مزيف -5. ظهور الزيف، ومعه انكشفت الحقيقة.

الأرنب المعتوه : بطل القصة كائن فاشل، وإن فشله جاء واضحاً من خلال العنوان . فالطفل عندما يتلقى قصة بهذا العنوان حتماً سيقفز خياله إلى التصرفات التي جعلته منه معتوهاً، فينجذب إلى القصة ويتابعها، خاصة أن الأرنب من الحيوانات المحببة لدى الطفل. ويخرج الطفل من هذه القصة بجملة من القيم تسهم في توجيه سلوكه توجيهاً سليماً، وإشباعه بقيم قد تغدو رمزية ولكن لها بالغ الأثر في القادم من الزمن. فبناء الطفل على حب التعاون وتقدير العمل الجماعي، وطاعة الوالدين، والاعتزاز بالأصل والانتماء والرضا بما قسم الله.

وأن الزيف مهما تسلىح بالحيل والدهاء نتائجها وخيمة لأنه في الأخير لن تثبت إلا الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة.

القيم الجمالية من خلال قصة الأرنب المعتوه:

الحس الجمالي من المكونات الأساسية للنفس البشرية، والجماليات كما تتجلى في مختلف الفنون هي أحد الأبعاد الثابتة في كل الثقافات. الاستجابة للفنون وتذوقها ظاهرة ثابتة عند الإنسان يستجيب لها الطفل منذ الميلاد وحتى قبله، كما دلت التجارب التي أجريت على الأجنة في استجابتهم للموسيقى الهادئة، وجماليات الشكل واللون والتأليف سواء منها الطبيعية أو المصنوعة تثير استجابات الارتياح والمتعة لدى الطفل، فالطفل يبحث عن الجمال ويعبر عن استمتاعه به منذ أن تلعب العين دورها كنافذة على العالم، وكأداة أولى لاكتساب المعرفة والخبرات، ولا يحتاج الطفل إلى من يوقظ فيه الإحساس بالجمال والاستمتاع به، بل كل ما يحتاجه هو تغذية هذا الإحساس بالثيرات الملائمة لحنا وشكلا ولونا. فالطفل متذوق للفن بالفطرة.³⁰

القيم الجمالية وأقصد بها الإخراج الفني للقصة وآليات التشكيل البصري من رسومات وألوان، ونوعية الغلاف، إن هذه العناصر تعطي قيمة إضافية للقصة، بل قد تؤدي في بعض الأحيان أدوارا وظيفية تعجز اللغة عن تأديتها.

1- العنوان

يشكل عنصرا أساسيا في أي عمل إبداعي، باعتباره عتبة العتبات و العلامة التي تحيل على النص وتعمل على لفت انتباه الطفل، ويحرص الكاتب في قصة الطفل على أن يكون العنوان من بيئة الطفل، فهو المفتاح الذي يمكنه من الولوج إلى القصة وعالمها، وعنوان هذه القصة (الأرنب المعتوه) وهو يدل على أن هذا الأرنب يعاني من نقص في العقل، وسوء تدبير للأشياء، وتحضر صورته في شكل دائرة تشغل ثلث المساحة من الصفحة في دائرة قطرها 13سم، والصورة تشير إلى أرنب يستند إلى جذع شجرة وكأنه في حيرة من أمره. وجاء العنوان مكتوباً بخط مضبوط كبير الحجم وباللون الأسود، الذي يحيل إلى التخبط في حالة مظلمة، وقد ينسجم هذا العنوان مع وصف بداية القصة "كان الأرنب الأسود شوف" ولون الأسود في علم النفس دلالات مختلفة ولكنه يسمى بلون الغموض، وقد يرتبط في سياقات معينة بدلالات الشر، وهنا يوظف هذا الغرض في العروض والأفلام لإظهار أن هذا الشخص شرير. "بل أن يتمنى لو خلقه الله حيواناً شريراً".³¹

2- الغلاف الأمامي والخلفي للكتاب:

الغلاف الأمامي من الورق المقوى السميك يحتوي على اسم الكاتب في الأعلى، وقد جاء على غير ما يصنع محمد مفلح في أعماله الإبداعية الروائية، فجاء بعبارة الأستاذ: محمد مفلح، وكلمة أستاذ ترتبط

بالفعل التربوي والتعليمي وكأن بالكاتب يحن إلى الفترة التي كان يدرس فيها ويلقي قصصه ذهنياً على تلاميذه، ومن جهة أخرى يمكن تأكيد أن الكتابة للطفل مسؤولية تربوية قبل كل شيء. وأما العنوان فجاء بخط أسود مع ظلال بيضاء وجاء في شكل متموج يوحي بحركة مضطربة فهي جاءت (وقصص أخرى) بخط أصغر وبلون بنفسجي في مساحة بيضاء مع خط ظلال سوداء فصارت في شكل سحابة. وشكل اللون الأحمر خلفية الغلاف وبشكل جذاب وجميل، وترد كل القصص الأخرى في دوائر متتالية تحمل صور القصص الواردة في المجموعة، بينما شكلت صورة الأرنب المعتوه في الغلاف الأمامي المساحة الأكبر، وقد ظهر الأرنب وهو يقضم تفاحة. والغلاف الأمامي له من الجاذبية ما يجعل الطفل يتجاوب معه بل يعمل على إثارتة، وفي أسفل الغلاف ورد تصميم حورية رقراق مع مربع فيه زخرفة فنية توحي بعقب التاريخ قرطبة للنشر والتوزيع.

الغلاف الخلفي: جاء وكأنه يمثل الامتداد للغلاف الأمامي وفي مساحة بيضاء ورد تعريف مختصر بالكاتب وبموضوع الكتاب جاء فيه "يقدم لنا الروائي والقصص محمد مفلح في هذا الكتاب مجموعة من قصص الحيوانات الموجهة إلى الأطفال، وهي قصص تربوية هادفة، سيجد فيها القارئ متعة كبيرة كما سيستفيد من محاورها المتنوعة. ووزعت القصص الواردة مرة أخرى ولكن بترتيب مختلف عن الغلاف الأمامي. جاء في شكل دوائر ولكن تحت كل دائرة عنوان القصة.

وفي الأسفل مستطيل أبيض كتب عليه صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية عام 2015 وعلى جانبه شعار التظاهرة الذي كان بالأبيض في مستطيل باللون البنفسجي، وفي الجانب الآخر الجزائر وزارة الثقافة بالأبيض وبظل أسود. وهكذا يصبح الغلاف الخلفي تنمة للغلاف الأمامي من الألوان والرسومات التي جاءت في شكل دوائر. وما يلاحظ هو غياب الفئة العمرية الموجهة لها هذه القصة من الغلاف الخارجي.

- الإهداء: جاء الإهداء بهذه الصيغة. إلى أطفال بلادي الجزائر وإلى الأولياء وكل الساهرين على تربية الأجيال الصاعدة

جاء الإهداء في شكل رسالة مطوية تم فتحها وكأنها رسالة من جلد تفوح منه روائح التاريخ المعبأ باللون الأصفر الذي يسر النظر ويبهجه، بل فيه من التدرجات الأسرة ما يجعل منها صورة فنية، أما محتوى الرسالة فقد استهدف فئة الأطفال أبناء بلادي الجزائر، وفئة الأولياء والساهرين على تربية الأجيال الصاعدة. وإذا كانت الفئة الأولى سنحظى بالفائدة والمتعة فإن الفئتين الثانية والثالثة لا ينالان الجدارة إلا بقدر ما سيقدمان للفئة الأولى بعبارة أخرى، الكاتب محمد مفلح يوجه خطاباً ظاهره إهداء وباطنه رسالة. جاء في

القصة ثلاث وثلاثون صفحة وبعده الصفحات جاءت عدد الصور وجاءت تتماشى ومضامين وتفصيل ومحاور القصة، باستثناء الصفحة 42 ولكن بخلفية صفراء جميلة .صورة الأرنب المعتوه بطل القصة (الأرنب شوف الأسود، الأرنب المزيف) وحسب تطورات الأحداث فقد تكررت ثلاث وعشرون مرة، جاءت تترجم حالته النفسية، من قلق وتوتر، وخوف وفرح وندم . شكلت الرسومات بألوانها الزاهية والمبهجة والداكنة والقائمة كذلك تنوعا جماليا . شكلت الصور خلفية للكتابة في كل الصفحات.

الصفحة 30 لثلاثون جاءت صورة الأرنب يقضم تفاحة وقد أتى على جزء منها، لوحة كاملة دون كتابة. وكأن الكاتب أعطى للبطل فرصة تناوله للتفاحة، وللقارئ فرصة الاستراحة لإعمال الخيال. إن هذه الصفحة تلي الصفحة 29 والتي أصبح فيها البطل يعاني من الإحراج وفي حالة تأزم خاصة أن القط (مياو) بطيبته اعتقد أن القط الرمادي (الأرنب المزيف) يعاني من مرض ما.

الصفحة 43 لوحة في غاية الجمال تمثل الأم الأرنب البيضاء الطيبة وهي تحتضن ابنها الأرنب العائد إلى حضنها بعد مغامرة غير محسوبة العواقب.

الصفحة ثلاثة وأربعون من القصة انقسمت طوليا ومناصفة بين الحوار الذي دار بين الأم الأرنب الطيبة البيضاء وابنها الأرنب العائد إلى أحضانها. وجاءت الصورة في شكل لوحة فنية رائعة ومؤثرة تلاحم فيها القيمي بالجمالي وجاءت تجسيدا لهذا التعالق حيث يظهر الأرنب (المعتوه) وقد عاد إلى أمه التي تحتضنه بقوة، وهنا تحضر الأم كقيمة وتفتح على دلالات كثيرة ومتنوعة فهي الأم البيضاء والطيبة فهي قد تحيل إلى الهوية، والأصل، والأرض، والوطن والقيم الإنسانية العليا، وتختصر كل هذا وذاك لتدل الأم على الفطرة. وهنا يطرح القيمي والجمالي سؤال التوظيف البيداغوجي.

إذ يمكن للمعلم وتلميذه أن يخلقا معا في مغامرة الخيال من خلال استثمار هذه الصورة (الأم تحتضن ابنها) ويكون السؤال: عاد الأرنب إلى أمه الطيبة بعدما عاش مغامرة فاشلة، فكيف نتخيل سلوك الأرنب بعد اليوم؟ خاصة وأنه ندم على تصرفه؟ وهنا يترك للتلاميذ فرصة الخيال وبناء قصص أخرى حتما يكون التلميذ من خلالها قد استوعب العبرة ويكتب ويعبر وهو يجسد قيما أخرى مخالفة لما فعله الأرنب، وتصبح الأم مصدر الحنان، والعطاء، والتوجيه والإرشاد ومحل التقدير والطاعة والاحترام. فهي الفطرة التي منها نطلق وإليها نعود، ويعلي من قيمة التعاون الجماعي.

أما الصفحة الأخيرة 44 فقد جسدت صورة الأرنب الذي عاد إلى طبيعته وهو في حالة ندم، وبخلفية صفراء ما يدل على أن القادم سيكون مشرقا.

وخلاصة إن الرسومات والصور التي شكلت لوحات فنية جميلة وخلفيات زاهية ودائكة في بعض الأحيان تماهت مع مضمون القصة واستجابت له، فأعطته تدفقا جماليا، يعمل على إثارة خيال الطفل من جهة وتحريض قدراته المعرفية واللغوية من جهة أخرى.

الحروف وتماشيا ومراعاة للفتة العمرية الموجهة لها هذه القصة، فإن حروفها وردت بالشكل الكبير، وجاءت الكلمات كلها مضبوطة بالشكل وبهذا يسهل على الطفل قراءتها دون أخطاء.

علامات التقييم علامات التقييم هي الأخرى جاءت مراعية للعمر العقلي، حيث شكلت الفواصل والنقط أساسا بصريا بينما جاءت (: في الحوار الصفحة 34.

الخاتمة:

القيم لا معنى لها إذا لم تكن كونية وملزمة تستمد وجودها واستمراريتها وإلزاميتها من مصدر متعال.

محمد مفلاح الروائي والقصص والباحث الجزائري تغذى وتشرب قيما من مدينة المسهل الخصيب غليزان حيث يتعاقب التاريخ والجغرافيا في سيمفونية وجودية شكّل فيها التراث الروحي السمة البارزة فنثرها إبداعا أصيلا نابضا بقيم المحبة والخير والعدل والتعاون، انتصر للإنسان وللقيم الإنسانية فاحتفى بالطفل الإنسان ومنحه سبع قصص من تجربة بلغت خمس عشرة رواية وثلاث مجاميع قصصية وثمانية أبحاث في التراجم والتاريخ. وهو القائل "المجد للكتابة التي تزرع المحبة والأمل وتمنح اللذة وتنشر المعرفة."

المراجع

- (1) محمد عزيز الوكيل، قضايا التربية والتكوين بين التشخيص والتقويم، مراجعة وتوضيب د. عبد الكريم غريب، ط 2016، منشورات عالم التربية، ص 215.
- (2) محمد عزيز الوكيل، المرجع نفسه، ص 219 .
- (3) محمد بوبكري، المدرسة وإشكالية المعنى، السلسلة البيداغوجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000 ص 79.

- 4) محمد بوبكري، المرجع السابق، ص 121.
- 5) محمد بوبكري، المرجع نفسه، ص 121.
- 6) محمد بوبكري، المرجع نفسه، ص 117.
- 7) محمد مفلح، في تجربة الكتابة، دار الكوثر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015، ص 94.
- 8) محمد مفلح، المرجع السابق، ص 95 .
- 9) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 95.
- 10) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 95 .
- 11) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 24.
- 12) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 25.
- 13) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 10.
- 14) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 11.
- 15) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 11 .
- 16) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 20.
- 17) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 20.
- 18) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 32.
- 19) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 32.
- 20) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 32.
- 21) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 33.
- 22) - (22) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 33.
- 23) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 33.
- 24) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 60.
- 25) - (25) مصطفى حجازي مع مجموعة من الاختصاصيين، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1990، ص 158.
- 26) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 61.
- 27) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 61.
- 28) محمد مفلح، المرجع نفسه، ص 61.

- (29) عبد المجيد إبراهيم قاسم، قصص الأطفال عناصرها، أنواعها، وأبرز أعلامها
- (30) (www.magazina.blogspot.com) .مصطفى حجازي مع مجموعة من الاختصاصيين، المرجع السابق، ص178.
- (31) محمد مفلح، الأرنب المعتوه وقصص أخرى، ص13.



الأرنب المعتبرة



إهداء

إلى أطفال بلادي الجزائر،
والى الأولياء وكل
الساشرين على تربية
الأجيال الطاعدة.